الجزء الرابع سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ
وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا
مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا
النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا
الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ
غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

سورة النساء

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب لجميع الخلق ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ خافوا عذابه بطاعته واجتناب معاصيه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم عليه السلام ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ نشر وفرّق من آدم وحواء بطريق التناسل ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ خلائق كثيرين من الرجال والنساء ﴿رَقِيبًا﴾ مراقباً ومطّلعاً على أعمالكم ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا سنّ الرشد ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ لا تستبدلوا الحرام بالحلال بأكل أموال اليتامى ﴿حُوبًا كَبِيرًا﴾ ذنباً عظيماً عند الله ﴿تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ تعدلوا معهم في المهور ﴿مَثْنَىٰ﴾ انكحوا اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً ﴿أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ الاقتصار على زوجة واحدة أقرب ألاّ تظلموا وتجوروا ﴿نِحْلَةً﴾ أعطوا النساء مهورهنّ عطيّةً عن طيب نفس ﴿آنَسْتُم﴾ أبصرتم ﴿وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾ مبادرين إلى إنفاقها مخافة أن يكبر الأيتام فينتزعوها من أيديكم ﴿حَسِيبًا﴾ محاسباً ورقيباً، **قالت عائشة: "هذه اليتيمة تكون في حجر وليّها، ويكون لها مالٌ وجمال، فيريد أن يتزوج بها دون أن يعدل في مهرها، فنُهُوا عن ذلك، وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء"** رواه البخاري.. **بدأ الله السورة الكريمة**، بنداء الناس جميعاً، وأكدّ الأمر بتقوى الله في موطنين: في أول الآية ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ وفي آخرها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ليشير إلى عظيم حقّ الله على عباده، كما قرن بين (التقوى) و(صلة الرحم) فالناس جميعاً من أصل واحد، وهم أخوةٌ في الإنسانية، ولو أدرك الناس هذا، لعاشوا في سعادة وأمان، ولما كان بينهم حروب طاحنة مدمّرة، تلتهم الأخضر واليابس، وتقضي على الكهل والوليد!!

الجزء الرابع سورة النساء

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا
خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ
فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا
النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ
فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي
بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ للأولاد والأقارب حظٌّ من تركة الميت القريب، كما للإناث والنساء حظٌّ ﴿مِّمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ سواءً كانت التركة قليلة أو كثيرة، والآية ردٌّ لما كان عليه أهل الجاهلية من حرمان النساء والصغار ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ نزلت في الوصيّ، والمعنى كما تخاف على أولادك الصغار بعد موتك أن يُظلموا، وتخاف عليهم من الضّياع، فعامل اليتامى بمثل ما تحبُّ أن يُعامل به أبناؤك الصغار بعد موتك ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ يأمركم ويفرض عليكم ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ في شأن ميراث أولادكم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ للابن الذكر ضعف نصيب الأنثى، فإن مات عن ابن وابنتين، فللابن النصف، وللبنتين النصف، فيكون ميراثه بقدر نصيب اثنتين من الإناث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ فرضاً لازماً محتّماً بحكم الله وشرعه، لقد تولّى الله قسمة المواريث بنفسه، ولم يتركها لأحدٍ من خلقه، لئلا يقع حيفٌ أو ظلمٌ على أحد.

ووجه الحكمة في مضاعفة نصيب الذكر: هو أنّ المرأة لا تُكلَّف بالإنفاق على أحد، بخلاف الرجل فإنه مكلف بالإنفاق على زوجته، وأولاده، وبالمهر، والسكن، والملبس، والمطعم، فنفقاته أكثر، والتزاماته المالية أضخم، أمّا سبب نزول آيات المواريث، فإن امرأة (سعد بن الربيع) جاءت بابنتيها إلى رسول الله ﷺ، فقالت يا رسول الله: إنّ سعداً استُشهد معك بأُحد، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يَدَعْ لهما شيئاً، ولا تُنكحان إلّا بمالٍ!! فأنزل الله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...﴾ الآية، رواه البخاري.

﴿ولكم﴾ لكم أيها الرجال ﴿نصف﴾ الربع ﴿ما ترك﴾ من المال ﴿أزواجكم﴾ من بعد قضاء الدين ﴿إن لم يكن لهن ولد﴾ إن لم يكن لزوجاتكم أولاد منكم أو من غيركم ﴿فإن كان لهن ولد﴾ فإن كان للزوجة ابنٌ أو بنت فلكم الربع من ميراثهن ﴿من بعد وصية﴾ من بعد قضاء الوصية وقضاء الدَّين ﴿ولهن الربع﴾ ولزوجاتكم واحدة فأكثر ربعُ التركة إن لم يكن لكم ولد، منهن أو من غيرهن ﴿فإن كان لكم ولد﴾ فإن كان لكم أحد من الأولاد فلهن ثمن التركة ﴿يورث كلالة﴾ فإن كان الميت لا أصل له ولا فرع - وهذا معنى الكلالة - ﴿أو امرأة﴾ لا أصل لها ولا فرع - أي لا والد لها ولا ولد - ﴿وله أخ أو أخت﴾ وللمورث أخ لأم أو أخت لأم ﴿فلكل واحد منهما السدس﴾ فللأخ من الأم السدس، وللأخت لأم السدس ﴿شركاء في الثلث﴾ يقتسمون الثلث بالسوية إذا كان الإخوة لأم أكثر من واحد ﴿حدود الله﴾ أحكامه وشرائعه التي شرعها لعباده ﴿عذاب مهين﴾ عذاب شديد مع الإهانة والإذلال..

أجمع العلماء على أن المراد بالإخوة والأخوات هنا (الإخوة من الأم) و(الأخوات من الأم) يتساوى الذكر مع الأنثى لقوله تعالى ﴿فهم شركاء﴾ والشركة تقتضي المساواة، ونصيبهم الثلث فقط مهما كثروا، أمّا الإخوة والأخوات الأشقاء أو من الأب، فيختلف نصيبهم تماماً، فللشقيقة النصف، وللأخ الشقيق المال كله إذا انفرد، لقوله سبحانه ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ..﴾ الآية، فتنبّهْ لهذا الأمر، والله يرعاك!!

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي
الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا
﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا
وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا
﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ
مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ
أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

﴿يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ جريمة الزنى، سميت فاحشةً لأنها منكر فظيع تناهى في القبح ﴿أَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ احبسوهنّ في بيوتكم ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ يجعل لهنّ مخلصاً بما يشرعه من الأحكام ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا﴾ اللذان مثنّى الذي أي (والزاني والزانية) اللذان يقترفان جريمة الزنى فآذوهما بالتوبيخ والتقريع، والضرب بالعصا وأمثال ذلك ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ عن الفاحشة وأصلحا سيرتهما، فكفّوا عن إيذائهما ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ يفعلون المعصية ويرتكبون الذنب سفهاً وجهالة ﴿يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ يتوبون سريعاً قبل مفاجأة الموت ﴿كَرْهًا﴾ مُكْرَهات على ذلك، وقد كانوا في الجاهلية يرثون المرأة كما يرثون المتاع، وكأنها سلعة تنتقل من شخص إلى آخر ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ تمنعوهن من الزواج بمن أردن، والعضلُ: المنع، يُقال: عضل المرأة إذا منعها الزواج ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ بمنعها من الزواج، لتترك له مهرها أو بعضه ﴿بِفَاحِشَةٍ﴾ إلا إذا كانت المرأة ناشزاً، تريد فراق زوجها، فيأخذ منها بعضَ ما أدّاه من المهر، والفاحشةُ هنا يُراد بها: النشوزُ والعصيانُ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإحسان، والتلطف، وطيب الكلام، وحسن المعاملة ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ إن كرهتم صحبتهن فاصبروا عليهن، واستمروا على الإحسان إليهن، ولا تطلقوهنّ، فعسى أن تنقلبَ البغضاءُ إلى مودّة ومحبّة..

ما أعظم رحمة الله بالنساء!! حيث أمر الرجل بعدم التسرع في الفراق، فإنه لا يدري أين يكون الخير له!! وهذا إطماع للرجال بالخير الكبير، إن صبروا على أزواجهن.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ
مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

﴿ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ أردتم نكاح امرأةٍ مكان امرأةٍ طلّقتموها ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ دفعتم لها مهراً كبيراً ضخماً لا يكاد يُحصى ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ لا تأخذوا من ذلك المهر شيئاً ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾ أتأخذونه باطلاً وظلماً؟؟ ﴿أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ هذا من روائع الكناية أي كيف تأخذونه وقد استمتعتم بها بطريق الجماع!؟ قال ابن عباس: الإفضاءُ في هذه الآية الجماعُ، ولكنّ الله كريم يكني ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ عهداً ونبقاً مؤكداً وهو «عقد النكاح» ﴿وَمَقْتًا﴾ مبغوضاً أشدّ البغض ﴿سَلَفَ﴾ مضى ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ الرَّبيبةُ: بنتُ المرأة من زوج آخر ﴿حُجُورِكُم﴾ بيوتكم وليس هذا للشرط وإنما هو لبيان الغالب ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ زوجات أولادكم ﴿مِّنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ المولودون من صلب الزوج، بخلاف الأبناء من التبنّي، فلا يحرم الزواج بزوجاتهن ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ما مضى منكم في الجاهلية، فقد عفا الله عنه، ويُلحقُ بالجمع بينَ الأختين: الجمع بين (المرأةِ وعمتها) و (المرأةِ وخالتها) كما وردت به السنّةُ النبويةُ المطهَّرة، فلا يصحُّ أن تكون المرأةُ ضَرّةً لعمتها أو خالتها، لما في ذلك من القطيعة للرحم. **سبب النزول:** كان أهلُ الجاهلية إذا مات الرجل وترك زوجته، جاء ابنه من غيرها أو وليُّه فورث امرأته كما يرثُ مالَه، وألقى عليها ثوباً، فإن شاء تزوَّجها بالمهر الأول، وإن شاء زوَّجها غيره وأخذ مهرها، فأنزل الله تحريم ذلك بقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ..﴾ الآية.

وقال عكرمة: إن الآية نزلت في امرأةِ (أبي قيس) جاءت رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، لا أنا وَرِثْتُ زوجي، ولا أنا تُرِكْتُ حتى أنكح وأتزوج!! فنزلت الآية، ابن كثير.

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ذوات الأزواج لأنها في عصمة زوجها ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ إلا ما كان بملك اليمين فيحلُّ وطؤها بعد الاستبراء ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أعفاء عن الحرام ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ غير زانين ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ فما تلذَّذتم به من النساء بطريق النكاح، فادفعوا لهنَّ مهورهنَّ، ولا يراد بالآية (نكاح المتعة) كما تأولها الجاهلون، فإنه نكاح باطل، وسئل (جعفر الصادق) عن نكاح المتعة، فقال: هو الزنى بعينه ﴿طَوْلًا﴾ سعةً وغنى ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خِدْن وهو الصاحب يزني بالمرأة سرًّا ﴿ٱلْعَنَتَ﴾ الزنى أي خاف على نفسه الوقوع في الزنى ﴿سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يرشدكم إلى طرائق الأنبياء والصالحين ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يقبل توبتكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

عليمٌ بمصالح العباد، حكيم في تشريعه لهم. **تنبيه هام:** نكاحُ المتعةِ كان جائزاً في ابتداء الإسلام، لقرب عهدهم بالجاهلية، ثم حُرِّم تحريماً مؤبَّداً، والذي روى تحريم المتعة (عليٌّ) رضي الله عنه، روى البخاري عن علي أنه قال (إن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحُمُر الأهلية) ودليل التحريم أيضاً قوله ﷺ: **«إني كنتُ أذنتُ لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة»** رواه مسلم. والغرضُ من الزواج بناءُ الأسرة، لا قضاءُ الشهوة، وقد قال تعالى: ﴿مُحْصِنِينَ﴾ والإحصانُ لا يكون إلا في النكاح الصحيح، وقال: ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ والمتعةُ لا يراد بها إلا سفح الماء، وليس في المتعة ميراثٌ، ولا طلاق، ولا نفقة، فكيف يبيحها الإسلام!؟ وانظر كتابنا (موقفُ الشريعة الغرَّاء من نكاح المتعة) ففيه ما يشفي الغليل، بالأدلة الساطعة القاطعة.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ
وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ
وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يحبُّ الله بما شرع لكم من الأحكام أن يطهركم من الذنوب والآثام ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ الفجرة، أصحاب الأهواء الدنيئة ﴿أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ أن تنحرفوا عن الهدى إلى الضلال، وتكونوا فسقة فجرة مثلهم ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالطريق المحرّم كالرشوة، والسرقة، والغصب، والربا، والقمار وغيرها من المحرمات ﴿لَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ لا يسفك بعضكم دماء بعض، ولا يُقدم على قتل نفسه بطريق الانتحار ﴿نُصْلِيهِ نَارًا﴾ ندخله نار جهنم ونحرقه بها ﴿لَا تَتَمَنَّوْا﴾ لا يتمنّ أحدكم ما خصّ تعالى به بعض الناس، من الجاه، أو المال، لئلا يؤدي ذلك إلى التحاسد والتباغض، نزلت لمّا قال بعض النساء: ليتنا كنّا رجالاً فنجاهد كما جاهدوا، ويكون لنا أجر الرجال!!

﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ سلوا ربكم من فضله يعطكم، فإنه جواد كريم وهّاب ﴿مَوَٰلِىَ﴾ أقارب عصبة يرثون تركة قريبهم ﴿عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ حالفتموهم على النصرة والإرث ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أعطوهم حقّهم من الميراث، وكان هذا الحكم في أول الإسلام، ثم نُسخ بقوله سبحانه: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي أحقُّ بإرثه من غيرهم.

قال ابن عباس: كان المهاجرون حين قدموا إلى المدينة، يرث المهاجرُ الأنصاريَّ دون أقاربه من ذوي الرحم، بالأخوّة التي آخى الرسول بها، بين المهاجرين والأنصار، ثم نسخها الله بآية المواريث، فأصبح التوارثُ بالقرابة النسبيّة، دون الأُخوّة الإيمانية.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ
قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ
وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا
﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ
ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾ قائمون على أمور النساء بالإنفاق والتوجيه والرعاية، كما يقوم الولاةُ على الرعية ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ بما خصّ الله به الرجال من كمال العقل والتدبير ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا﴾ وبما خصّهم به من الكسب والإنفاق، وليس التفضيل تفضيل نوع على نوع، وإنما هو تفضيل خصائص، فالرجل أقوى على تحمل المشاق في سبيل الكسب، ورعاية الأسرة بالتوجيه والتأديب، وليست الأسرة إلا كمدرسة، فيها مديرٌ، وأساتذةٌ، وطلاب، لكلٍّ عملٌ ووظيفة، فالمدير ليس أفضل من المعلّم، وإنما هو مجرد تدبير إداري ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقوله ﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ للإشارة لحكمة جليلة، هي أن المرأة بمنزلة عضوٍ منه، فالرجل بمنزلة الرأس، والمرأة بمنزلة الجسد، ولا ينبغي أن يتكبر عضو على عضو، فالأذن لا تغني عن العين، ولا عار على الشخص أن يكون قلبُه أفضل من معدته، ورأسه أشرف من يده، فالكل يؤدي دوره بانتظام ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي مطيعات لله ولأزواجهن ﴿نُشُوزَهُنَّ﴾ تكبّرهنّ واستعلاءهن ﴿شِقَاقَ﴾ عداوة وخلاف بين الزوجين..

ربع الحزب ٩ سد

تذكرة: انظر إلى ترتيب العقوبات ودقتها، حيث أمر تعالى بالوعظ، ثم بالهجران، ثم بالضرب ضرباً رفيقاً من غير إيذاء، والضربُ ليس للإساءة، وإنما هو علاج للمتعالية المستهترة، لكسر الغطرسة والكبرياء، وإخراج الوسواس الخناس من رأسها، ثم ختم الآية بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ لينبّه الزوج على أن قدرة الله فوق قدرته، وأنه تعالى عونُ الضعفاء، وملاذ المظلومين! والظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟
مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ
أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً
فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ
ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ينفقون أموالهم للفخر والشهرة، لا يقصدون به وجه الله، وهذا محبطٌ للعمل ﴿قَرِينًا﴾ صاحباً وصديقاً ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾ بئس هذا الصاحب ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزن ذرة تراب أو هباءة ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ كيف حال الكفار حين نأتي من كل أمة بنبيِّها ليشهد عليها ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ وجئنا بك يا محمد شاهداً على أمتك!! ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ لو يُدفنوا في الأرض وتنشقُّ الأرضُ وتبتلعهم، قال النبي ﷺ لابن مسعود: «اقرأ عليَّ القرآنَ!! قال: فقرأتُ عليه سورة النساء، حتى انتهيت إلى هذه الآية فقال: حسبُك الآن، فنظرتُ فإذا عيناه تذرفان» رواه البخاري ﴿عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ إذا كنتم مسافرين ولم تجدوا الماء فصلُّوا بالتيمُّم ﴿ٱلْغَآئِطِ﴾ أصلُ الغائط «الأرضُ المنخفضة» وهو كناية عن الحدث ﴿لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ جامعتم النساء ولا يراد اللمسُ باليد، إنما هو كناية عن الجماع، كما قال ابن عباس ﴿تَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ اقصدوا رفع الحدث بالمسح بالتراب الطاهر، وجوهَكُم وأيديكم، فإن التيمم يجزئ عن (الوضوء والغُسل) وهذا من رحمة الله ولطفه بعباده، ولهذا ختم الآية بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ يسهِّل على العباد لئلا يقعوا في الضيق والحرج ﴿نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أُعطوا حظاً من علم التوراة، وهم أحبارُ اليهود، والآية تعجيب من حالهم، وتحذير من موالاتهم، حيث اختاروا الضلالة على الهدى ﴿تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ تضلُّوا كما ضلُّوا عن طريق الهداية والإيمان، لترجعوا عن الإيمان إلى الكفر، فتكونون مثلهم.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ
وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ
وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا
مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ من هؤلاء اليهود اللعناء ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ يبدّلون كلام الله في التوراة قصداً وعمداً ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ سمعنا قولك، وعصينا أمرك، وهذا أبلغُ في الكفر والعناد ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ اسمعْ لا أسمعك الله، وهو دعاء عليه بالصَّمم ﴿وَرَٰعِنَا﴾ وهي كلمةُ سبٍّ وشتم، مأخوذة من الرعونة ﴿لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ﴾ فتلاً بألسنتهم وتحريفاً عن الحقّ إلى الباطل ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى ﴿ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾ آمنوا بالقرآن العظيم المصدِّق للتوراة التي بين أيديكم ﴿نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ نطمس منها الحواسَّ فنذهبها ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ نجعل الوجوه كالأقفاء، ليس فيها عين ولا أنفٌ ولا فم ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ يمدحونها بالبراءة من الذنوب، نزلت في اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ﴿فَتِيلًا﴾ هو الخيط الذي في بطن النواة ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ بالشيطان والأوثان وكلِّ ما عُبد من دون الرحمن.

سبب النزول: نزلت في (كعب بن الأشرف) أحد أحبار اليهود، سأله بعضُ مشركي مكة: هل نحن أهدى سبيلاً أم محمد وأصحابه؟ فقال اللعينُ: بل أنتم والله أهدى منه سبيلاً، ودينكم خيرٌ من دينه!! فضَّل لهم عدوُّ الله الكفرَ على الإيمان، وعبادةَ الأوثان على عبادة الرحمن، من شدة حقده وبغضه لدين الإسلام، وهكذا كيد اليهود الخبثاء، لا يتورَّعون عن الكذب على الله ورسله، في سبيل مآربهم الدنيئة، وقد قتله الله شرَّ قِتْلة، بيد رجلٍ مؤمن.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ
لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ
اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ
النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

﴿لعنهم الله﴾ طردهم من رحمته ﴿ومن يلعن الله﴾ حفظ من ملك الدنيا ﴿نقيرا﴾ لا يؤتون أحداً مقدار نقير، وهو قدر النُّقرة في ظهر النواة، لشدّة بخلهم ﴿أم يحسدون الناس﴾ المراد بالناس هنا: النبيُّ ﷺ حسده اليهودُ على النبوّة، وكانوا يقولون: النبوة لا تخرج عن بني إسرائيل، فلما بُعث ﷺ من العرب أنكروا نبوّته ﴿صد عنه﴾ لم يؤمن برسالته وأعرض عنه ﴿وكفى بجهنم سعيرا﴾ تكفيهم نار جهنم المسعّرة عقوبةً لهم ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ شُويت جلودهم واحترقت ﴿بدلناهم جلودا غيرها﴾ أبدلناهم جلوداً غيرها ليدوم لهم ألم العذاب ﴿وندخلهم ظلا ظليلا﴾ دائماً لا حرّ فيه ولا برد ﴿نعما يعظكم به﴾ نعم هذا الشيء الذي ينصحكم به ربكم ﴿وأحسن تأويلا﴾ أجملُ عاقبةً وأحسنُ مرجعاً ومصيراً.

رُوي في سبب نزول الآية: ﴿يأمركم أن تؤدوا الأمانات﴾ أن رسول الله ﷺ، لمّا دخل مكة فاتحاً، طلب مفتاح الكعبة من (عثمان بن طلحة) فأبى أن يدفع له المفتاح، وقال: لو علمتُ أنه رسول الله لم أمنعه، فلوى عليٌّ يده وأخذه منه قهراً، فدخل الرسول ﷺ الكعبة وصلّى بها ركعتين، فلما خرج أمر علياً أن يردَّ إليه المفتاح ويعتذر إليه، فقال له ابن طلحة: آذيتَ وأكرهتَ ثم جئت تترفّق!! فقال: لقد أنزل الله فيك قرآناً يُتلى، وتلا عليه الآية، فكانت سبب إسلامه، وقال له الرسول ﷺ: هاك المفتاح يا عثمان، اليومُ يومُ وفاءٍ وبرٍّ. اهـ. رواه ابن إسحق، كذا في ابن كثير.

الجزء الخامس — سورة النساء

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّٰغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟
فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

﴿الطَّاغُوتِ﴾ «كعب بن الأشرف» أحد طغاة اليهود، سُمّي بالطاغوت لإفراطه في الطغيان ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ يعرضون عنك إعراضاً ولا يقبلون بحكمك، نزلت في خصومة بين يهودي ومنافق، رضي اليهودي بالتحاكم عند رسول الله ﷺ وأبى المنافق وقال له: بل نتحاكم إلى «كعب بن الأشرف» ولم يقبل بحكم الرسول ﷺ، وأتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك، وكان من قصته أن قتله عمر، وانظر صفوة التفاسير ﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق والمكر والخديعة ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أعرض عن معاقبتهم للمصلحة ﴿وَعِظْهُمْ﴾ ازجرهم عن الكفر والنفاق ﴿قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ انصحهم بكلام بليغ مؤثر، يكون لهم رادعاً، ولنفاقهم زاجراً ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أُقسمُ بربك يا محمد لا يكونون مؤمنين ﴿بَيْنَهُمْ﴾ حتى يتحاكموا إليك فيما تنازعوا فيه ﴿حَرَجًا﴾ ضيقاً ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ينقادوا لحكمك، ويرضوا به من غير معارضة ولا منازعة.

سبب النزول: نزلت الآيات في (بِشر) المنافق، جاءه يهودي يطلب منه حقّه فجحده، فقال اليهودي: تعالَ نتحاكم إلى (محمد) فقال المنافق: بل نتحاكم إلى (كعب بن الأشرف) الذي سمّاه الله طاغوتاً، ثم ذهب معه مكرهاً، فحكم الرسول لليهودي عليه، فلما خرج أبى أن يقبل بحكم الرسول ﷺ وقال لليهودي: تعال نتحاكم عند عمر، فلما سمع عمر القصة قال: انتظراني، فدخل بيته وأخرج سيفه، وضرب به عنق المنافق، وقال: هكذا أحكم فيمن لم يرض بحكم الله وحكم رسوله!!

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُۢنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْهِمْ﴾ لو فرضنا على هؤلاء المنافقين ﴿أَنِ اقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ كما كتبنا ذلك على بني إسرائيل ﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ اتركوا منازلكم وديارکم ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ ما استجاب ولا انقاد إلّا قليل منهم، لضعف إيمانهم، وعُتوّ ضلالهم ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ أشدّ تثبيتاً لإيمانهم، وأبعدَ لهم عن النفاق والضلال ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ احترزوا من أعدائكم وتيقظوا ﴿فَانفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ متفرّقين جماعة بعد جماعة ﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين جيشاً واحداً ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرنَّ عن القتال كابن سلول المنافق وجماعته ﴿إِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ قتلٌ وهزيمة ﴿لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ لم أحضر المعركة فأُقتل كما قُتلوا ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ﴾ نصرٌ وغنيمة ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ ليقولنَّ متحسّراً ليتني كنت معهم في الغزو ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ لأنال حظّاً وافراً من الغنيمة، هكذا شأن المنافقين، عند الحرب يظهر منهم الفزعُ، وعند الغنيمة يكون منهم الطمع.!

الحزب ٩

سبب النزول: رُوي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله: إنك والله أحبُّ إليَّ من نفسي ومالي وولدي، وإني لأذكرك فما أصبرُ حتى آتيَ فأنظر إليك!! وإني تذكّرتُ موتي وموتك، فعرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنَّة، رُفعتَ مع النبيِّين، وأني إذا دخلتُ الجنة، أخشى أن لا أراك، لأنك في أعلى عليِّين!! فلم يردَّ عليه النبيُّ ﷺ شيئاً، وتغشّاه الوحيُ فنزل عليه جبريل بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ..﴾ الآية. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ
ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟
هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن
سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾؟ أيُّ شـــيء يمنعكم عن الجهاد في سبيل الله؟ ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ وفي سبيل نصرة الضعفاء وتخليصهم من طواغيت الكفر، وهم العجزة من الرجال والأطفال الصغار والنساء ﴿أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يتضرَّعون إلى الله أن يخرجهم من مكة، حين كانت وكْراً للكفر والطغيان ﴿وَلِيًّا﴾ يتولَّى أمرنا ﴿نَصِيرًا﴾ من ينصرنا على أعداء دينك ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ﴾ المؤمنون يقاتلون لإعلاء كلمة الله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ﴾ والكفار يقاتلون في سبيل الشيطان ﴿أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فقاتلوا أعوان الشيطان الكفار الفجار ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ لا قدرة له على قتال أهل الإيمان ﴿فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ حصون منيعة وقصور عالية ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ما لهم لا يفهمون الكلام؟ وهو تعجبٌ من فرط جهل المنافقين.

تنبيه: اتفق المفسرون على أن المراد بالقرية الظالم أهلُها (مكة) شرَّفها الله، التي كانت عاصمة الغُثاة من المشركين، وموطن الكفر، وكان المشركون يذيقون المسلمين أنواع العذاب، ويأتي جماعة منهم (سعد، والمقداد، وابن عوف) إلى رسول الله ﷺ يشكون أمرهم، ويقولون يا رسول الله: ائذن لنا في قتال هؤلاء الكفرة، فقد كنّا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنّا صرنا أذلة!! فيقول لهم الرسول ﷺ: كفُّوا أيديكم فإني لم أُومَرْ بذلك، ففيهم نزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ ..﴾ الآية، رواه النسائي، والحاكم وصحَّحه على شرط البخاري.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ من أطاع الرسول فقد أطاع أمر الله، لأنه مبلِّغ عن الله، ومرسَل من جهته ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ ومن أعرض عن طاعتك، فلست موكّلاً عليهم، ولا حافظاً لأعمالهم، وجزاؤهم علينا ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ أمرك يا محمد مطاعٌ عندنا ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ﴾ خرجوا من مجلسك ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ﴾ أضمروا عصيان أمرك ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يسجّل عليهم جرائمهم ليعاقبهم عليها ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ إذا جاء المنافقين خبرٌ من الأخبار أفشوه وأشاعوه، لا سيما إذا كان فيه ضررٌ يلحق بالمسلمين ﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يستخرجونه بفهم وتحقيق ﴿أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾ الله أشدُّ نكايةً وبطشاً ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ تعذيباً ﴿كِفۡلٞ مِّنۡهَا﴾ نصيب من الذنب والوزر ﴿مُّقِيتٗا﴾ مقتدراً على عقاب من يعصي أمره ﴿حَسِيبًا﴾ محاسباً للعباد على أعمالهم.

توضيح وبيان: كان المنافقون يذيعون أخبارَ المجاهدين، قبل أن يتثبّتوا منها، بالظفر والغنيمة، أو النكبة والهزيمة، وفي ذلك ضرر كبير على المجاهدين، لأن في ذلك إفشاء (أسرار الحرب) ولو تركوا الحديث عن ذلك إلى الرسول ﷺ وأكابر الصحابة، لبقيت أسرار الحرب سرًّا لا يطّلع عليه أحد، وفيهم نزلت ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾ الآية وفي الآية إنكار على كل من يُحدّث بكل ما سمع، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم **«كفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سمع»**.

اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۖ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ ۖ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ الخطاب لأصحاب النبي ﷺ الذين اختلفوا في شأن المنافقين، والمعنى: ما لكم أصبحتم فرقتين في شأن المنافقين؟ بعضكم يقول: نقتلهم، وبعضكم يقول: هم مؤمنون لا نقتلهم!! **﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾** أذلهم ونكّسهم، وردّهم من عزّ الإسلام، إلى ذلّ الكفر، بسبب النفاق **﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾** ضاقت صدورهم **﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾** استسلموا لكم وانقادوا **﴿عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾** لا طريق لكم إلى قتالهم، طالما سالموكم **﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾** ستجدون قوماً آخرين من المنافقين **﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾** بإظهار الإيمان **﴿وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾** بإظهار الكفر **﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾** كلما دُعوا إلى الشرك والضلال **﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾** انقلبوا إلى الكفر على أسوأ حال، **﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾** أينما وجدتموهم وتمكّنتم منهم فاقتلوهم، وأولئك المنافقون جعلنا لكم على قتلهم حجة بيّنة، وهذا هو المراد بالسلطان في الآية الكريمة.

توضيح: رُوي عن (زيد بن ثابت) أن رسول الله ﷺ خرج إلى (غزوة أُحد) فرجع ناس ممن كانوا معه من المنافقين، فكان أصحابُ رسول الله فيهم فرقتين: قال بعضهم: نقتلهم، وقال بعضهم: لا نقتلهم!! فأنزل الله **﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾** الآية فقال النبي ﷺ: **«إنها طيبة، تنفي الخَبَث** ـ أي الأشرار من أهل النفاق ـ **كما تنفي النارُ خَبَث الحديد»** رواه البخاري، وقد استثنى تعالى من قتال المنافقين فئتين: من لحق منهم بالمعاهدين، ومن كان من المحايدين، لم يقاتل المسلمين.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ لا ينبغي لمؤمنٍ ولا يليق أن يصدُرَ منه قتلُ لمؤمن ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ إلّا بطريق الخطأ من غير قصد ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ فعليه عِتقُ رقبةٍ مؤمنة، يعتقها من أسر العبودية لوجه الله ليصبح العبدُ حراً ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ وعليه أيضاً دية يؤدّيها إلى ورثةِ المقتول، ككفارةٍ عن الذنب، وهي مائةٌ من الإبل ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ يُسقطوا الدية ويعفوا عن القاتل، وفي التعبير بقوله: ﴿يَصَّدَّقُوا۟﴾ إشارة إلى أنه فضلٌ منهم وإحسان يشبه الصَّدقةَ ﴿عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فإن كان المقتول من قوم أعداء لكم وهو مؤمنٌ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فإعتاقُ رقبة مؤمنة، ولا تجب الدية لئلا يستعين بها الأعداء على حربنا ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ إن كان المقتول من قوم كفرة، بينكم وبينهم عهدُ أمانٍ، فتجب الدية وعتق الرقبة المؤمنة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ فمن لم يجد الرقبة، فعليه صوم شهرين متتابعين ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للجهاد في سبيل الله ﴿فَتَبَيَّنُوا۟﴾ تثبّتوا ولا تعجلوا في القتل، فتندموا على ما حدث منكم.

سبب النزول: ١ ـ كان (الحارث بن يزيد) شديدَ العداء للنبي ﷺ وللمؤمنين، ثم أسلم وجاء مهاجراً إلى المدينة المنورة، فلقيه أحد الصحابة وهو (عياش) فقتله، وهو لا يعلم إسلامه، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي، ورواه ابن جرير الطبري.

٢ ـ وعن ابن عباس أنه قال: لحق المسلمون رجلاً في غُنَيْمة له ـ أي معه قطيع من الغنم ـ فسلّم عليهم، فقتلوه وأخذوا غنمه، فنزلت ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ الآية، رواه البخاري.

لَّا يَسْتَوِي الْقَٰعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَٰهِدِينَ عَلَى الْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ ۚ
قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ
وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ الْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَٰعِدُونَ﴾ لا يتساوى عند الله القاعدون عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ غير أهل الأعذار كالأعمى، والأعرج، والمريض ﴿وَالْمُجَٰهِدُونَ﴾ لا يتساوى القاعدون والخارجون للجهاد عند الله، فالمجاهدون بأعلى المراتب والدرجات ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ وكلاً من الفريقين وعده الله بالجنة، المجاهدون لكونهم جاهدوا، والقاعدون لأن العذر حبسهم ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ظلموا أنفسهم بالمُقام مع الكفار وترك الهجرة، نزلت في قوم أسلموا ولم يهاجروا، وأخرجهم المشركون يوم بدر، فقُتل منهم جماعة، كما في رواية البخاري ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة شعائر الدين فيها ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ مقرهم النار وساءت مستقراً لهم وسكناً ﴿مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ يجد متسعاً في الأرض وأماكن يهاجر إليها، يرغم بها أنوف أعدائه ﴿وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ﴾ ثبت أجر هجرته على الله تعالى ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا يقدرون على الخلاص، ولا يهتدون لطريق الهجرة.

سبب النزول: ١ ـ كان قوم من المسلمين يُخفون إسلامَهم، أقاموا بمكة ولم يهاجروا، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر لقتال المسلمين، فأصيب بعضُهم وقُتل مع المشركين، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية. ٢ ـ وكان (ضَمْرة بن العيس) من المؤمنين المستضعفين، شيخاً كبير السنّ، مريضاً لا يستطيع الركوب، فلمّا سمع ما أنزل الله في أمر الهجرة، قال لأبنائه: احملوني إلى المدينة، والله لا أبيتُ الليلةَ بمكةَ، فحملوه على سرير، فمات في الطريق، قبل أن يصل إلى المدينة، فقال بعضُ المسلمين: ذهب أجرهُ، فأنزل الله ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ الآية رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ هذه صلاة الخوف في الحرب، صلاّها ﷺ بأصحابه ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ تصلي جماعة مع رسول الله ﷺ وجماعة أخرى تبقى في وجه العدو تحرسهم ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ ولتأخذ الطائفة التي قامت معك أسلحتهم وليكونوا حذرين من عدوهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ فإذا صلوا تأتي الطائفة الأخرى التي لم تصلّ للاقتداء بالنبي ﷺ فتصلّي معه، وهكذا ينقسم الجيش إلى طائفتين: طائفة تصلي، وطائفة تحرس، مع أخذ الجميع لكامل أسلحتهم ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ كونوا متيقظين من العدو ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ إذا ذهب الخوف وأمنتم، فأتموا الصلاة وأقيموها على وجه الكمال ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ فرضاً محدوداً بأوقات معلومة، لا يجوز تأخيرها عنه ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ لا تضعفوا أمام أعدائكم ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ إن كنتم تجدون ألم الجراح فهم مثلكم يألمون ﴿خَصِيمًا﴾ لا تجادل وتدافع عن الخائنين.

سبب النزول: نزلت هذه الآيات في قصة من أعظم القصص، للدفاع عن يهودي مظلوم اتّهم بالسرقة، وكان السارق مسلماً اسمه (طُعمة بن أُبيرق) سرق درعاً من جاره ليلاً، وأودعه عند يهودي، وكان الدرع في كيس من دقيق، فيه ثقوب، فصار الدقيق يتناثر من بعض الثقوب، ووُجد الدرع عند اليهودي، وجاء قوم (طُعْمة) يدافعون عن صاحبهم كذباً وزوراً، حتى همّ النبيُّ ﷺ أن يصدّقهم ويتّهم اليهودي، فنزلت إحدى عشرة آية في هذه القصة، لتبرئة اليهودي وإدانة المسلم، وهذه عدالة الإسلام.

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

﴿يختانون أنفسهم﴾ يخونونها بالمعاصي، ومخالفة شرع الله نزلت في «طُعمة بن أبيرق» سرق درعاً من جاره «قتادة» ووضعها عند يهودي وجاء قومه يدافعون عنه ويرمون اليهودي بالسرقة، مع علمهم أن السارق هو صاحبهم «طُعمة» ﴿يبيتون﴾ يدبّرون بليل اتّهام اليهودي البريء، وشهادة الزور دفاعاً عن صاحبهم السارق ﴿جادلتم عنهم﴾ دافعتم عن السارق والخائن في الدنيا ﴿فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾؟ فمن يدافع عنهم في الآخرة؟ ﴿أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ من يتولى الدفاع عنهم ونصرتهم من عذاب الله؟ وهذه الآيات فيها تحريم الدفاع عن الباطل وأهله، وهي تشير إشارة دقيقة إلى حرفة (المحامين) فلا يجوز للمحامي أن يتولى الدفاع عن مبطل، مهما كان الأجر كبيراً، ولا يمسك قضية يعلم أن صاحبها ظالم، فالجريمة عظيمة والعقاب شديد!! ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً﴾ يرتكب ذنباً صغيراً أو إثماً كبيراً ﴿فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ احتمل أعظم الذنوب والجرائم. ﴿ولولا فضل الله عليك﴾ لولا فضله عليك بالنبوة، ورحمته لك بالعصمة ﴿لهمت طائفة منهم أن يضلوك﴾ يصرفوك عن طريق الحق، حين طلبوا منك أن تبرّئ صاحبهم من السرقة، وتلفقها باليهودي ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ وبالُ إضلالهم راجع إليهم ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ أنزل عليك القرآن، وعلّمك السُنّة المطهّرة.. والآيات درس بليغ للانتصار للحق والعدالة، حيث تنزلت من علياء السماء، هذه الآياتُ الكريمة، التي تفيضُ رحمةً، وعدالةً، وسُمُوّاً!! وانظر صفوة التفاسير ١/ ٢٩٩

الجزء السادس سورة النساء

٥ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ
مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا
مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

﴿مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ النجوى: السرُّ بين اثنين فأكثر، أي لا خير في كثير من الحديث، الذي يتحدَّث الناسُ به في السرّ ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلا ما كان فيه نفع للناس، كالتعاون على الخير، والإصلاح بين المتخاصمين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يخالف أمر الرسول ﷺ ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يسلك طريقاً يخالف فيه طريق المؤمنين، والآية تشير إلى الإجماع، الذي هو أحد مصادر التشريع الإسلامي ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ ندخله جهنم يحترق فيها ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ ما يعبد المشركون إلَّا أصناماً يزيِّنونها ويعظِّمونها ويسمونها آلهة «كاللات، والعزى، ومناة» ﴿شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ متمرِّداً على الله، بلغ غاية العتوّ والفجور ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ طرده من رحمته ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ عدداً مقطوعاً هم بعثُ النار ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ آمرهم بتقطيع آذان الأنعام أي تشقيقها كما فعلوا بالبحائر ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ بالكفر واحلال ما حرَّم الله، ومنه تشبُّه النساء بالرجال في الهيئة، واللباس والتبرج، وغير ذلك ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ يعدهم الشيطان بالوعود الكاذبة، والأماني الخادعة ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ بالخداع والباطل، بتحسين القبيح وتزيينه في عيونهم، حتى يرى المخدوعُ اللذة في الزنى واللُّواطة، والمدنيَّةَ في التكشف والتعري ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مسكنهم وإقامتهم في نار الجحيم ﴿مَحِيصًا﴾ مفراً ولا مهرباً.. أما نصيب الشيطان من بني آدم، فهو كما رواه مسلم في حديث (بعث النار، أنه من كل ألف / ٩٩٩/ تسعمائة وتسعة وتسعون) أجارَنا اللهُ من نار الجحيم.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ
ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ
مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ
بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

﴿قِيلًا﴾؟ قولاً، يعني لا أحد أصدق قولاً من الله ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ ليس دخول الجنة بشهوات وتمنيات أحد من الناس، لا من المسلمين ﴿وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ولا من اليهود والنصارى، وإنما بالإيمان والعمل الصالح ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ من يفعل الشرّ والمنكر ينل عقابه ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ من عمل الصالحات سواءً كان ذكراً أو أنثى، بشرط أن يكون مؤمناً يدخله الله الجنة ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أخلص عمله واستسلم لحكم الله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مطيع لله مجتنب لنواهيه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً من الدين الباطل إلى الدين الحق دين الإسلام ﴿خَلِيلًا﴾ عبداً صفياً، اصطفاه تعالى لمحبته وخُلّته ﴿يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ في أمرهنّ وشأنهن ﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ لا تدفعون لهن مهورهنّ كاملة ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ وترغبون في نكاحهن لمالهنّ أو جمالهنّ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل والإنصاف، **قال ابن عباس**: كان الرجل في الجاهلية تكون اليتيمة تحت كفالته، فإذا كانت جميلة وأحبّها تزوّجها وأكل مالها، وإلّا منعها من الزواج فإذا ماتت ورثها، فحرّم الله ذلك، ابنُ كثير.

سبب النزول: رُوي عن قتادة أنه قال: تفاخر المؤمنون وأهلُ الكتاب، فقال أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أحقُّ بالله منكم!! وقال المؤمنون: نبينا خاتم النبيّين، وكتابنا يحكم على سائر الكتب، فأنزل الله ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية أسباب النزول للواحدي ص ١٠٤.

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ
ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟
بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا
مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ
ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

﴿ خافت من بعلها ﴾ زوجها ﴿ نشوزا أو إعراضا ﴾ تجافياً عنها أو كراهية لها ﴿ فلا جناح عليهما ﴾ لا إثم عليهما أن يتصالحا ﴿ والصلح خير ﴾ الصلح خير من الفراق ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾ جُبلت على الشحّ وهو شدة البخل، قالت عائشة: **الرجل تكون عنده المرأة يريد أن يفارقها، فتقول له: أجعلك من شأني في حلّ** رواه البخاري، تريد لا تطلّقني وأسقط حقوقي من القسمة ﴿ كالمعلقة ﴾ هي التي ليست بذات زوج ولا مطلّقة، أي لا تميلوا عن المرغوب عنها ميلاً كاملاً فتجعلوها كالمعلّقة ﴿ أن تعدلوا بين النساء ﴾ العدل الكامل في المحبة، وميل القلب ﴿ ولو حرصتم ﴾ ولو بذلتم كلّ جهدكم، وكلّ ما في وسعكم وقد كان ﷺ يعدل بين نسائه ويقول: **اللهمَّ هذا قَسمي فيما أملكُ، فلا تؤاخذني فيما لا أملك** ﴿ وكيلا ﴾ شهيداً وقيّماً على شؤون عباده ﴿ يذهبكم ﴾ لو شاء لأهلككم وأتى بخير منكم ﴿ ثواب الدنيا ﴾ أجر الدنيا العاجل، فعند الله ما هو أسمى وأعلى ﴿ سميعاً بصيراً ﴾ سميعاً لأقوال العباد، بصيراً بأعمالهم. وفيه معنى التوبيخ لمن يراني بعمله، وفي الحديث الشريف **من كانت الدنيا همَّه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلَّا ما قُدِّر له منها، ومن كانت الآخرةُ همَّه، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وجاءته الدنيا راغمة** رواه الترمذي.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن
تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ
ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ قائمين بالعدل في أموركم وشهاداتكم ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ إن كان المشهود عليه غنياً فلا يُراعى لغناه، أو فقيراً فلا تمتنعوا من الشهادة عليه شفقة به ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ اللهُ أولى بالمشهود له، والمشهود عليه ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ فلا تسيروا مع هوى النفس بترك العدل ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ وإن تُحرِّفوا في الشهادة، أو تتركوا إقامتها محاباة لأحد ﴿كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وسيجازيكم على أعمالكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ اثبتوا وداوموا على الإيمان ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ مِن قَبْلُ﴾ الكتب الإلهية السماوية جميعها ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ التعبير بالبشارة للسخرية والتهكم أي بشِّرهم بالعذاب الأليم في دركات الجحيم ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ أيطلبون بموالاة الكفار القوة والغلبة؟ ألا يعلمون أن الكفار، لا عزّة لهم ولا كرامة، فكيف يرجون بموالاتهم العزّة؟. ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ العزةُ لأولياء الله دون أعدائه؟.

تنبيه: ينبغي أن يُفرّق المؤمنُ بين العزّة والكِبْر، فالعزة إكرامُ المرءِ نفسَه، فلا يضعها موضعَ الذلّة والمهانة، وأما الكِبْرُ فهو جهلٌ وغرورٌ، وهو أن يرى الإنسان في نفسه الترفُّع عن الناس، وينزل نفسه فوق منزلتها.!

وقال رجل لعليّ: إن الناس يرون أن فيك كبراً!؟ قال: ليس ذاك بالكبر، ولكنها عزةُ المؤمن، وتلا الآية ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية.

الجزء الخامس — سورة النساء

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ
نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى
الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ
وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ
أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

﴿ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾ ينتظرون بكم الدوائر ﴿ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ غنيمة على الأعداء ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ جاهدنا كما جاهدتم فأعطونا من الغنيمة ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ ﴾ ظفر وغلبة على المؤمنين ﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴾ ألم نقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم؟ ﴿ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثبَّطنا عزائم المؤمنين حتى انتصرتم عليهم؟ فهانوا نصيبنا ﴿ سَبِيلًا ﴾ لن يمكّن الله الكفرة من إفناء المؤمنين بالاستئصال ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ يفعلون فعل المخادع، بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ﴿ مُّذَبْذَبِينَ ﴾ مترددين بين الكفر والإيمان ﴿ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ لا ينتسبون إلى المؤمنين، ولا إلى الكافرين ﴿ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ حجة واضحة لعذابكم ﴿ الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ ﴾ الطبقة السفلى من قعر جهنم.

بيانٌ وتوضيح: شَرَطَ تعالى لتوبة الكافر شرطاً واحداً، هو (ترك الكفر) وأما المنافق فقد شرط لتوبته أربعة شروط هي: (الكفُّ عن النفاق، وإصلاح العمل، والاعتصام بالله، والإخلاص لدينه) فتدبر أسرار الكتاب العزيز ﴿ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ يُخلِّصهم من عذاب الله، أو يخفِّف عنهم العذاب ﴿ الَّذِينَ تَابُوا ﴾ عن النفاق ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ أعمالهم ونيّاتهم ﴿ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ ﴾ تمسكوا بكتاب الله وشريعته الحنيفية ﴿ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ جعلوه صافياً لله، ولم يبتغوا بعملهم إلّا وجه الله ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ هو الجنة وما فيها من النعيم المقيم، ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ ﴾ أيُّ منفعةٍ لله في عذابكم؟ إن شكرتم ربكم وآمنتم به!؟ ﴿ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ شاكراً صنيع من أحسن العمل، عالماً بمن يستحقُّ الكرامة.

لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ الفحش في الكلام والدعاء على الناس ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ إلا المظلوم فله أن يخبر عن ظالمه ويدعو عليه ﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ سامعاً لدعاء المظلوم، عالماً بالظالم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لم يؤمنوا ببعض الرسل، ويكفروا بالبعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿جَهْرَةً﴾ عياناً نراه بأعيننا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ وهي نارٌ من السماء أهلكتهم ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ عَبَد اليهودُ الخبثاء العجل ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ معجزات موسى الواضحة كالعصا، واليد، وفلق البحر ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ رفعنا فوقهم جبل الطور، لمَّا امتنعوا عن تطبيق أحكام التوراة ﴿لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ لا تعتدوا باصطياد السمك يوم السبت ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ ادخلوا باب بيت المقدس، خافضين رؤوسكم تعظيماً لأمر الله، فخالفوا ودخلوا يزحفون على مقاعدهم استهزاءً بأمر الله ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ عهداً وثيقاً بأن يستمسكوا بأوامر الله، وينتهوا عن مناهيه، فخالفوا وعصوا أمر الله، فاستحقوا اللعنة والغضب.

سبب النزول: رُوي أن (كعب بن الأشرف) رأس (أفعى اليهود) وجماعة من أحبارهم، جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، إن كنتَ نبياً كما تزعم، فأتنا بكتاب من السماء جملة واحدة، كما أتى موسى بالتوراة جملةً واحدة، فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية، رواه ابن جرير الطبري.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ فبسبب نقضهم الميثاق ﴿لعنّاهم﴾ طردناهم من رحمتنا وأذللناهم ﴿وقتلهم الأنبياء﴾ وسفكهم دماء الأنبياء، ظلماً وعدواناً قال ابن مسعود: قتل اليهود في يوم واحد (٤٣) نبياً ثم فتحوا أسواقهم كأنهم لم يفعلوا جرماً ﴿وقولهم قلوبنا غلف﴾ مغطاة بأغشية، لا تعي كلامك يا محمد ﴿وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ رميهم مريم بالزنى، وقولهم عن عيسى: إنه ابنُ زنى، وهو جرم عظيم ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح﴾ زعمهم أنهم صلبوا عيسى ﴿رسول الله﴾ قالوه على سبيل التهكم والاستهزاء، لأنهم لا يعتقدون برسالته ﴿ولكن شبه لهم﴾ ما قتلوا عيسى وإنما قتلوا شخصاً ألقى الله شبهه عليه ﴿بل رفعه الله إليه﴾ رفع الله عيسى إلى السماء فهو حيّ، حتى ينزل آخر الزمان ﴿ليؤمنن به قبل موته﴾ ليس أحد من اليهود والنصارى، إلّا ويؤمن بعيسى أنه عبد لله قبل موته، ولكنْ هيهات أن ينفعه ذلك!! والعجيب في أمر النصارى أنهم يعتقدون بالوهية عيسى، ويؤمنون بأنه صُلب. فكيف يكون إلهاً ويصلب؟ هذا عجيب بل أعجبُ العُجاب!!

إذا صُلب الإلهُ بفعلِ عبدٍ ... يهوديّ فما هذا الإلهُ؟

ثم كيف يكون إلهاً؟ وهو يأكل ويشرب، ويبول ويتغوّط؟ أليست هذه أعظم الأكاذيب في حقّ الذات الإلهية! هل يقبلها من له عقلٌ سليم!؟ ﴿الراسخون في العلم﴾ لكن الثابتون في الدين، المتمكّنون من العلم، يؤمنون بما أُنزل إليك يا محمد ﴿والمقيمين الصلوة﴾ منصوبٌ على المدح، المؤدُّون لها على وجه الخشوع والخضوع.

الجزء السادس — سورة النساء

إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

الحزب ١١ صـ

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآية ردٌّ على من أنكر رسالة خاتم الأنبياء، وقدّمه في الذكر لتقدمه في الفضل ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ الأحفاد من ذرية يعقوب، وليسوا إخوة يوسف، فإنهم ليسوا أنبياء، لأن ما صدر منهم من الحسد والكذب، والإقدام على قتل أخيهم، يتنافى مع النبوة ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ كلّمه بلا واسطة مَلَك، وأكّد الخبر بقوله: ﴿تَكْلِيمًا﴾ لرفع احتمال المجاز ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ مبشّرين من أطاع الله بالجنة، ومنذرين من عصى الله بنار الجحيم ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ إن لم يشهد لك بالرسالة اليهودُ والنصارى، فالله يشهد لك بذلك وتكفيك شهادةُ الله لك بالرسالة ﴿وَصَدُّواْ﴾ منعوا الناس عن الدخول في دين الإسلام ﴿كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾ جمعوا بين الكفر والظلم، وهو أشدُّ أنواع البغي والطغيان ﴿لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ لن يعفو الله عنهم مع فجورهم وظلمهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ولن يهديهم إلى طريق الجنة، لأنهم ماتوا على الكفر ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ إلّا الطريق الموصل إلى نار الجحيم، وسمّاه هدايةً سخرية وتهكماً ﴿بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ جاءكم محمد خاتم النبيّين بالقرآن العظيم، الهادي إلى الصراط المستقيم ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ فآمنوا بالرسول وبما جاءكم به من عند الله، يكن ذلك الإيمان خيراً لكم، ينجيكم من عذاب الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ عليماً بأحوال العباد، حكيماً في ما دبّره لهم، والآية فيها ترغيب وترهيب، ووعيد وتهديد. فمن أحسن العمل لاقى خيراً، ومن أساء العمل لقي شرًّا.!

الجزء السادس سورة النساء
يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ
فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يا معشر النصارى ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ لا تتجاوزوا الحدّ في المسيح فتجعلوه إلهاً ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ لا تنسبوا إلى الله الزوجة والولد ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ المسيح وُجِدَ بكلمة «كُنْ» من غير أب ولا نطفة ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ ذو روح مبتدأة من الله، وليس كما زعمتم أنه ابنُ الله ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ ولا تقولوا الآلهة أقانيم ثلاثة: «الآب، والابن، والروح القدس» ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ كفّوا عن التثليث، فإنه أنجى لكم من عذاب الله ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ لن يأنف ويترفّع ويستكبر المسيح أن يكون عبداً لله ﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ﴾ ومن يأنف ويتكبَّر عن عبادة الله ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾ يجمعهم عنده للحساب والجزاء ﴿قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ هو محمد ﷺ صاحب المعجزات الباهرات ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ القرآن العظيم، النور الوضّاء، الذي من استمسك به نجا، ومن أعرض عنه هلك ﴿فَـَٔامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ صدَّقوا بوحدانية الله ﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ تمسكوا بكتابه المنير ﴿فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾ في جنته دار الخلود والنعيم، التي هي مكان تنزل الرحمة..

سبب النزول: رُوي أن وفداً من النصارى، قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، فقالوا: يا محمد: لمَ تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى!! قال: وبأيّ شيء أعيبُه؟ قالوا: تقول عنه إنه (عبد لله)، قال: إنه ليس بعار عليه أن يكون عبداً لله!! قالوا: بلى إنه ليس بعبد، إنه ثالث ثلاثة، فأنزل الله ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ..﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ
لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ
إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ
وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ
ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟
عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يوضح الله لكم الأحكام، ﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾ خشية أن تضلوا عن طريق الهدى والإيمان.

الحزب ١١ الربع الربع

* * *

سورة المائدة

﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ وفوا بجميع العهود، التي عاهدتم عليها الله تعالى أو عباده ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وهي «الإبل والبقر والغنم والماعز» سميت بهيمة لأنه لا نُطق لها ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ وأنتم محرمون ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ لا تنتهكوا حرمات الله ومعالم دينه ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾ ما أهدي إلى بيت الله الحرام ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ القاصدين بيت الله الحرام للحج أو العمرة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ﴾ لا يحملنكم بُغْضُ قوم على الاعتداء عليهم. ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ هذا مبدأ إنساني كريم، جمع كلَّ الفضائل والمحاسن، وهو أن يكون التعاونُ بين الناس، قائماً على أساس الحقّ والعدل، بقطع النظر عن القرابة والعقيدة، بحيث يكون الإنسان مع الحقّ، وبجانب المظلوم، سواءً كان مسلماً أو غير مسلم!!

سبب النزول: روي عن ابن عباس أن المشركين كانوا يحجون البيت، ويهدون الهدايا، ويعظّمون الشعائر، وينحرون الإبل لإطعام الفقراء، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم، فنزلت هذه الآيات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ...﴾ رواه الطبري.